المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي

Sociological approaches to social networks

فروجي قويدر عبد الرحيم*

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، abderrahime2121@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/13 تاريخ القبول: 2022/01/18 تاريخ النشر: 2023/01/31

ملخص:

سنحاول في هذا العمل التطرق إلى المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي من خلال التعرض أولا إلى تحديد مفهومي المقاربة السوسيولوجية، وشبكات التواصل الاجتماعي، ثم نوضح ثانيا لماذا تتعدد المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي، وفي الأخير سنتعرض بالتحليل والتفسير أهم المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي.

كلمات مفتاحية: المقاربة السوسيولوجية،التفسير، شبكات التواصل الاجتماعي.

Abstract:

Enter In this work, we will try to address the sociological approaches explained to social networks by first identifying the concepts of sociological approach and social networks, and then again explaining why sociological approaches explained to social networks are multiple, and in the end we will analyse and explain the most important sociological approachesexplained to social networks.

Keywords: Sociological approach, explanation, social networks.

1.مقدمة :

لا شك أن تعاظم الانشغالات الأكاديمية بموضوع " شبكات التواصل الاجتماعي " كأحد وسائط الاتصال الجديدة منذ ظهور شبكة الإنترنت التي شكلت التغير الأكبر في تاريخ الاتصال الإنساني يجد مبرره السوسيولوجي في كونها جسدت فضاءا رمزيا افتراضيا موازيا للعالم الواقعي يعيشه الإنسان في صورة آلية، حيث أصبح جزءا هاما من حياته الاجتماعية وواقعا ملموسا في ممارساته اليومية وبيئة للتفاعل

* المؤلف المرسل

الاجتماعي على كافة الأصعدة الاجتماعية، الثقافية، السياسية(سامية، 2016، صفحة 163).

والجدير بالذكر في هذا السياق، أنه على الرغم من ذيوع الشبكات الاجتماعية وانتشارها في الآونة الأخيرة إلا أنها لم تستطع أن تشكل نظرية متماسكة إلى حد كبير كأداة تحليلية في حقل علم اجتماع الاتصال، وهنا برزت دعوة مؤداها ضرورة الاستفادة من المقاربات السوسيولوجية في تفسير شبكات التواصل الاجتماعي من منطلق أن فكرة التنظير للشبكات الاجتماعية ولدت من رحم علم الاجتماع، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة الاستفادة من المقاربات الاتصالية التقليدية التي مهدت الطريق لفكرة التنظير لشبكات التواصل الاجتماعي(الغفار، 2016، الصفحات 18- 19).

ولكي نفهم أهمية شبكات التواصل الاجتماعي يجب أن نضعها في ضوء المقاربات السوسيولوجية التي وفرت سنداً نظرياً وفكرياً لهويتها وممارستها، ويتطلب مراجعة بعض المقاربات على مستويات عدة، يلتزم بعضها الجوانب المتعلقة بالتفاعل الافتراضي من خلال استخدام الصوت والفيديو أو الشخصيات الرقمية، من منطلق أن هذه الوسائل تمثل معاني ورموز لهم، ويتشكل لديهم ذوات الكترونية من خلال التفاعل مع الآخرين، وبعضها شكل مجالا رحبا لدراسة الجمهور من منظور وظيفي باعتباره كيانا نشطا وفعالا يتعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي بما يشبع رغباته وميولاته النفسية واجتماعية والثقافية، حيث تتيح للمستخدمين تقاسم المضامين ونشر الأفكار، والتفاعل مع الأحداث اليومية عبر المشاركة في التعليقات والنشر، كما أنها أضافت فئة جديدة هي الاتصال غير الجماهيري المرتبط بالوسائط الاتصالية الحديثة التي تتميز بالتفاعلية والفورية والمشاركة الفاعلة في إنتاج المحتوى.

ضمن هذا السياق، سنحاول في هذا العمل التطرق إلى المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي من خلال التعرض أولا إلى تحديد مفهومي المقاربة السوسيولوجية، وشبكات التواصل الاجتماعي، ثم نوضح ثانيا لماذا تتعدد المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي، وفي الأخير سنتعرض بالتحليل والتفسير أهم المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي كالمقاربة التفاعلية الرمزية، ومقاربة الاستخدامات والإشباعات، ومقاربة المجال العام الافتراضي، وغيرها من المقاربات التي لا يمكن فهمها إلا من خلال خلفية نظرية تمكن الباحث من تحديد الافتراضات التي تنطلق منها كل مقاربة حتى يتوصل إلى تشخيص سوسيولوجي ملائم لظاهرة شبكات التواصل الاجتماعي.

2. تحديد المفاهيم

1.2 المقاربة السوسيولوجية:

تتخذ المقاربة السوسيولوجية في بناء المعرفة الاجتماعية شكلا لمنظومة المتكاملة أجزاؤها بجهازها المفاهيمي، ومقولاتها وتصوراتها النظرية وعملياتها الإجرائية ووسائلها البحثية، لتحقيق هدف العلم على صورة ما تتماهى مع مرجعية فكرة ما واستجابة لمنطق تفتضيه، ولذلك فإن تقصي الظاهرة الاجتماعية لا يمكن أن يشأ من فراغ، بل من مقاربة سوسيولوجية تؤطرها وتوجهها، وترشد إلى مستلزمات النظرية في المستوى العملياتي، وذلكبالاعتمادعلىنماذجتحليلوتفسيرمعينةوأساليبوتقنياتمناسبةلمتصورموضوعما (إبراهيمي، 2014، الصفحات 17- 18).

بهذا المعنى، فإن المقاربة السوسيولوجية توجه تفكير الباحث وتؤطره ضمن نسق فكري معين وتفكير منطقي وعقلاني، خاصة من خلال جملة المفاهيم الدقيقة التي تتوفر عليها كل مقاربة، وتعبر المقاربات عن نتائج دراسات نظرية وتطبيقية وعن مختلف أشكال الفعل الاجتماعي لذا من المهم الاستناد إليها، كما أنها تعبر عن خلاصة تجارب متراكمة لا يمكن تجاوزها وتجاهلها، وهي تختصر لنا الكثير من الجهد والوقت الذي يمكن أن نستغرقه في فهم الكثير من أشكال الفعل الاجتماعي(قاسيمي، 2017، صفحة 125).

أما عبد الرحيم العطري يقدم رؤية مخالفة في تعريفه للمقاربة السوسيولوجية مؤكد أهميتها في الكشف عن الأنساق الخفية المتحكمة في الظواهر الاجتماعية، حيث تنقل الباحث إلى المستوى المذهبي المتفتح نظرا لوظيفتها التغييرية، لأن المقاربة السوسيولوجية قراءة مغايرة لحركية المجتمع وسكونيته، وهي اجتياح مباشر وغير مباشر لتضاريس المجتمع في مختلف مظاهره وتشكيلاته، تحركها أسئلة الهم السوسيولوجي وتقودها نحو إجابات محتملة نابعة من النقد والمسائلة والهدم والبناء(العطري، 2000، صفحة 24).

ومن جهته يؤكد عبد الغني عماد أن الباحث في علم الاجتماع يمكنه أن يستعين بأكثر من مقاربة سوسيولوجية لدراسة ظاهرة اجتماعية ما، حيث تفيدة في تقديم تفسيرات أوسع وأشمل وأكثر دقة للظاهرة المدروسة، كما يستد إلى خلفية نظرية تمكنه من تحديد السلوك العلمي الملائم لكل الحالات والوقائع المدروسة، وبهذا المعنى تغدو

المقاربة السوسيولوجية – حسبه-منحى أو منظومة التحليل السوسيولوجي واتجاهاته(عماد، 2007، صفحة 102).

أما دبلة عبد العالي فيؤكد أن المقاربة السوسيولوجية تفيد الباحث الاجتماعي في معرفة الواقع الاجتماعي وفك رموزه وشفراته والقواعد التي تتحكم في تفاعلات أعضائه وأنظمته المختلفة كما تمده بنماذج تحليلية وتفسيرية ومقاربات نظرية ومنهجية تعطي صورة حقيقية عما يجري داخل المجتمع وبالتالي تسهم في تفسير سلوكيات وأفعال الأفراد والدوافع التي تحكم الفعل الاجتماعي(دبلة، 2011، الصفحات 3- 4).

وبناء على المعطيات المعرفية السابقة يمكننا أن نتبنى تعريفا إجرائيا للمقاربة السوسيولوجية كالآتي:

المقاربة السوسيولوجية جملة المفاهيم التي زكتها تجربة البحث الاستكشافي وتبنتها الدراسة، أي أن للمقاربة السوسيولوجية هوية، وهويتها هي نسبها العلمي أو حقلها النظري الذي تنتمي إليه، مما يتعين على الباحث مسؤولية تدقيق المستند المعرفي لدراسته، والواقع أن هذه العملية تتطلب ثقافة نظرية للباحث، أي معرفة لدراسته، أي ربط مفاهيم مقاربته بإطارها النظري المنتمية إليه(بولعراس، 2018، صفحة 30).

2.2 شبكات التواصل الاجتماعي

يمكن تعريف مواقع الشبكات الاجتماعية على أنها تلك المواقع التي تشترك في مجموعة متنوعة من السمات التقنية التي تسمح للأفراد بتشكيل روابط، ترتبط بدوافع غير متجانسة، وتشكل بنية اجتماعية تتألف من عقدة مترابطة بأكثر من نوع من العلاقات، وعادة ما تجمع بين صفحاتها الموجزات الشخصية الفردية، ومختلف أدوات التفاعل،مثل الدردشة والمدونات والمنتديات، والمحدثات الإلكترونية، وهذا يعزز الإحساس بالمجتمع والتعاون والتفاعل الافتراضي (Alvarez & Marialexa Olivera-Smith, 2013, p. 315)

ومن منظور وظيفي تعرف شبكات التواصل الاجتماعي بأنها مواقع غيرت طريقة تواصل الناس والتفاعل بينهم،من خلال القدرة على خلق وتقاسم المعلومات مع بقية العالم، ليصبح حدثاً يومياً، كما عززت الشبكات الاجتماعية الحفاظ على العلاقات بين الأشخاص وتطويرها وإنشائها على أساس إعداد موجز شخصي يتم فيه نشر

المعلومات التي يسهل الوصول إليها وتبادلها من قبل جميع الحاضرين على الشبكة الاجتماعية (FROMENT & et al, 2017, p. 126)

ومن منظور سوسيولوجي تعرف شبكات التواصل الاجتماعي بأنها منصات للحياة الاجتماعية الافتراضية التي أنشأها الناس عبر الإنترنت، ويحدد الأفراد أنفسهم في هذه الشبكات بحيث يتواصلون مع أشخاص آخرين يتقاسمون معهم نفس الأفكار والمضامين أو مختلف الخلفيات/الأبعاد الثقافية والهويات الافتراضية من خلال اتصالات قوية الفرص توفرها شبكة الإنترنت (Tiryakioglu & et al, 2011, p. 135)

ويشار إلى شبكات التواصل الاجتماعي باسم "وسائل الإعلام التشاركية""ووسائل الإعلام الاجتماعية المرتبطة بالشبكات" والتي تعني خدمة قائمة على شبكة الإنترنت يمكن من خلالها للأفراد الحفاظ على وجودهم الافتراضي، وإقامة روابط اجتماعية جديدة مع أشخاص خارج شبكتهم، وما يميز شبكات التواصل الاجتماعي عن الأشكال الأخرى للمجتمعات الافتراضية هو أنها تسمح للمستخدمين بالتعبير عن شبكاتهم الاجتماعية وإبرازها، والسماح للآخرين بمشاهدة دفتر عناوينك والتفاعل معه على الإنترنت .بهذه الطريقة، ومن المحتمل أن تصبح صلات المرء الاجتماعية صلات أصدقائه (Greenhow & Beth Robelia, 2009, p. 120)

في سياق آخر، تعرف شبكات التواصل الاجتماعي على أنها خدمات إلكترونية تساعد الناس على التواصل فيما بينهم على أساس مصالحهم المشتركة، وقد تم تحديد التفاعل الاجتماعي، والبحث عن المعلومات، وتمضية الوقت، والتعبير عن الآراء، وتقاسم المعلومات،والترفيه،والاسترخاء،والتعارف مع الآخرين، باعتبارها الاستخدامات والإشباعات الرئيسية التي تعود على الفرد بالنفع من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وتشير الإحصائيات إلى أن أي مستخدم نموذجي لديه حسابات على 8 منصات مختلفة وينفق ما متوسطه 145 دقيقة يومياً على شبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما يمثل تقريباً 15% من يوم استيقاظ الشخص، الأمر الذي يجعل وسائل التواصل الاجتماعي جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية (Briana & et al, 2021, p. 353)

وبناء على ما سبق يمكننا أن نتبنى تعريفا إجرائيا لشبكات التواصل الاجتماعي كالآتي:

شبكات التواصل الاجتماعي هي وسائل إلكترونية تمكن المستخدمين من التفاعل الاجتماعي افتراضيا مع أشخاص من نفس المصالح، سواء كان ذلك من أجل أغراض اجتماعية أو تعليمية أو تجارية أو ثقافية، كما يتيح للمستخدمين مشاركة الرسائل الإلكترونية، تعليقات على الإنترنت، صور رقمية وأشرطة الفيديو، ومدونات البريد، ويقدم أيضاً للأشخاص فرصة لجعل أفكارهم وآرائهم معروفة في البيئة الافتراضية، ويعتبر الفايسبوك وتويتر ويوتيوب، وماي سبيس وغيرهم من أهم وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، ويعتبر الفايسبوك أشهر موقع للربط الشبكي الاجتماعي، وبحسب خبراء التسويق فإن الفايسبوك مفيد لأنه يغطي مجموعة من المصالح الشخصية والتنظيمية والاجتماعية، فضلا عن التطبيقات المشتركة التي تقوم على التفاعل الاجتماعي بواسطة الحاسوب، كالتعليم، الأعمال التجارية،التمويل والرعاية الصحية والسياسة والدين والحشد وغيرها (Sadiku & et al, 2019, pp. 126- 127)

3.لماذا تتعدد المقاربات السوسيولوجية في تفسير شبكات التواصل الاجتماعي

لا شك أن أي فعل بحثي لا يكتسب طابعه السوسيولوجي إلا إذا تمكن من معالجة مادته (الموضوع الذي يتناوله بالدرس والتحليل) على ضوء المقاربات السوسيولوجية المتعارف عليها، والتي يمكن أن تستجيب في مجملها إلى الشروط الابستمولوجية لتوليد المفاهيم العلمية، وصياغة البناء المعرفي انطلاقا من تلك المادة الميدانية في إطارها الخام، من منطلق أن عدم الالتزام بشروط معالجة الوقائع والظواهر الاجتماعية على ضوء إحدى المقاربات السوسيولوجية أو النماذج التفسيرية يبقى مضمون التحليل والتفسير فاقدا لضمانات الهوية المعرفية سوسيولوجيا، وتبقى إمكانية انتسابها إلى مجالات المعارف الشائعة أكثر احتمالا(فسومي، 2015، صفحة 41).

وفق هذا الفهم، فإن المقاربات الاختزالية والأحادية، لا يمكن أن تقود نهاية إلا إلى معرفة اختزالية، فالمقدمات تحسم النتائج، وعليه فإن الركون إلى تعدد مسلكي في القراءة والتحليل والتفسير، تتيح للباحث إمكانيات شتى لقراءة الواقع الاجتماعي من زوايا مختلفة، وتسمح له بالإجابة عن تساؤلاته وفق منطق شمولي لا يميل إلى السكونية على حساب الحركية، بل يوظفهما معا، من أجل تتبع مسارات الوقائع الاجتماعية في تاريخها وحاضرها(العطري، 2017، صفحة 282).

على أهمية هذا الشرط الإبستيمولوجي فإنه لا ينفي قدرة موضوع شبكات التواصل الاجتماعي على أن يكون مادة اشتغال لأكثر من منوال تفسيري ويتفاعل مع

أكثر من براديغم، الأمر الذي يفتح المجال للتفاوض مع العديد من مناهج التحليل باعتبار أن تناول الموضوع من عديد الزوايا والمنطلقات يعبر عن الرغبة في تجاوز الانحصار في رؤية واحدة بقدر ما يعزز إمكانيات التسلح بالموضوعية، لأن علم الاجتماع المعاصر بقدر ما اجتهد كثيرا في تجاوز الطموحات الإيديولوجية التي طبعته خلال القرن التاسع عشر (خاصة فيما يتعلق بخلافات الماركسية مع كل من الوضعية والتوكفيلية) فإنه لا زال يحمل الكثير من تبعاتها، باعتبار أن أغلب التيارات المعاصرة تعتبر امتدادا لتلك التيارات الكلاسيكية المتنازعة، وحيث يمثل الجمع بين عدة نماذج تفسيرية محاولة لمزيد التحصن بالموضوعية فإن معالجة الموضوع شبكات التواصل الاجتماعي من زوايا عدة مقاربات تكون أيسر إذا ما قسمناه إلى محاور ومواضيع فرعية يمكن أن يكون كل واحد منها هدفا لنموذج تفسيري معين(فسومي، 2015، صفحة 41).

يمكننا التأكيد أن تعدد المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي يدعونا إلى استحضار التأكيدات المنهجية الآتية:

1- إن شبكات التواصل الاجتماعي على درجة من التعقيد والتشابك والعلائقية، ما يوجب التعاطي معها بنمط تفكير علائقي، ويقر بأهمية كل عنصر ومكون من مكونات هذه العلائقية في القراءة والتفسير.
2- تعدد دور شبكات التواصل الاجتماعي يفترض تعددا في المسالك والسجلات ويفسر موضوعيا بالرجوع إلى عدة مقاربات سوسيولوجية.
3- إن شبكات التواصل الاجتماعي بما هي وقائع سوسيولوجية أتاحت إمكانات وفرصا للتعبير والنقاش والمشاركة الافتراضية،تجاوزت بذلك منطق الاختزالية بل تراهن على قراءات وأدوات ومقاربات قادمة من علوم متعددة وفي مقدمتها السوسيولوجيا وعلوم الإعلام والاتصال.
4- إن التفكير بتعدد المقاربات السوسيولوجية لا يلغي بالضرورة المنظور التخصصي الأصلي الذي تنطلق منه المقاربة، ولا يعد التفكير بالكلي ميررا بأي حال من الأحوال للتفريط في أساسيات البراديغم السوسيولوجي(العطري، 2012، صفحة 148).

4.المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي

4. 1 المقاربة التفاعلية الرمزية

تعبر التفاعلية الرمزية عن مختلف الرموز والمعاني والإشارات التي تميز المجتمعات الانسانية، ويتخيل أنصارها أن العلاقة بين الفرد والمجتمع يتوجب النظر إليها باعتبارها وحدات اجتماعية متلازمة، وأن محاولة فهم إحداهما إنما تتطلب الفهم الكامل للآخر، حيث أنه يمكن فهم المجتمع في ضوء عمل الأفراد وكذلك النظر إلى هؤلاء الأفراد من خلال المجتمعات التي يعيشون فيها (كالمجتمع الافتراضي مثلا)، وذلك لأن تلك الكائنات الإنسانية يكون لديها القدرة على أن تعكس ذاتها، وهذه الذوات هي التي تعمل على توجيه السلوك الإنساني في المجتمع(غنيم و آخرون، 2008، الصفحات 145- 146).

ولقد حدد "**هيربرتبلومر**" تلك الأفكار الأساسية التي تنهض عليها المقاربة التفاعلية الرمزية في ثلاث قضايا أساسية هي:

- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
- إن المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
- هذه المعاني تحور وتعدل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها، بمعنى تتغير هذه المعاني في إطار عملية تفسيرية(Aksan & et al, 2009, p. 903)

بهذا المعنى، تهتم المقاربة التفاعلية الرمزية بأشكال التواصل والتمثلات التي تدخل في إطار العلاقات ما بين الأفراد، ومن هذه الزاوية لا يعتبر المجتمع ولا المؤسسات والعلاقات الاجتماعية معطيات أو ضغوطات موجودة سلفا، بل هي أمور يعاد بناؤها، أو مناقشتها وتأويلها من ضمن التفاعل والتبادل اليومي، كالتفاعلات اليومية التي تحدث في شبكات التواصل الاجتماعي(دورتيه، 2009، صفحة 248).

كما ترتبط التفاعلية الرمزية بأعمال "**جورج هربرت ميد**" الذي استعرض أفكاره بشكل واف في كتابه " العقل، الذات، والمجتمع"، واستهلم نظريته من مجالين اثنين، المجال الأول هو الفلسفة البراجماتية، ونعني هنا ذلك الفرض العام الذي يقول إن الحقيقة إنما تتخلق من خلال أفعال الأفراد وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض، ومن هنا كان "ميد" يؤمن بأن أي محاولة لفهم المجتمع يجب أن تقوم على أساس دراسة الفعل والتفاعل كما هو الحال في التفاعلات اليومية التي تحدث بين الأفراد في الفضاء الافتراضي، أما المجال الثاني الذي استقى منه "ميد" نظريته فهو المنظور السيكولوجي الذي يقوم على الدراسة العلمية المنظمة للسلوك الإنساني(تشيرتون و آن براون، 2012، الصفحات 102- 103).

تتخذ المقاربة التفاعلية الرمزية التواصل الاجتماعي بؤرة اهتمامها باعتباره إجراء يتم فيه تبادل الفهم بين الناس، وما يستخدمونه من طرق لنقل المعاني والرموز والإشارات إلى نظرائهم، أي أن أفراد المجتمع كائنات تحاول بناء الحقيقة، ومعرفة معاني الأشياء أو الموضوعات أو الأحداث التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية، فالمعاني من وجهة نظر المقاربة التفاعلية الرمزية ليست أشياء موروثة أو كامنة في ذات الأشياء، لكنها تعبر عن إحساس أولي للشعور الإنساني نحو الأشياء، وهذا الشعور هو الذي يعبر عن المعاني التي ترمز إلى الأشياء(ساقور، 2011، الصفحات 72- 73).

يمكننافي هذا السياق، تعقب تأثير شبكات التواصل الاجتماعي وسيطرتها على عقول الناس، حيث غدت تمارس عملية التنشئة الاجتماعية على الذوات من نواحي عدة اجتماعية وثقافية وأخلاقية وعقلية، كما عملت هذه الشبكات على تعديل سلوكيات الأفراد لتتوافق مع الحياة الافتراضية التي تفرضها هذه الشبكات، ولذلك نجد الأفراد في سعي دؤوب لإيواء ذواتهم داخل النسق الافتراضي الذي فرضته شبكات التواصل الاجتماعي.

وبالمجمل، فإن المقاربة التفاعلية الرمزية تعد – في تقديرنا-الإطار النظري المناسب لدراسة التفاعلات الافتراضية في المجتمع الافتراضي، فالأفراد يتفاعلون من خلال شبكات التواصل الاجتماعي عن طريق استخدام الصوت والفيديو أو الشخصيات الرقمية، وهذه الوسائل تمثل معاني ورموز لهم، ويتشكل لديهم ذوات الكترونية من خلال التفاعل مع الآخرين(جاهمي و سمير قريد، 2019، صفحة 256).

4. 2 مقاربة الاستخدامات والإشباعات

تعد مقاربة الاستخدامات والإشباعات نقلة نوعية في مجال دراسات تأثير وسائل الاتصال، لأنها تفترض أن الأفراد ليسوا ضحايا لتأثيرات وسائل الإعلام، وإنما يختارون بوعي نوع المضمون الذييلبي احتياجاتهم الاجتماعية والنفسية من خلال قنوات المعلومات المتاحة في المجتمع، وعلى خلاف مقاربة الاستخدامات والإشباعات في الإعلام التقليدي التي تنظر إلى الجمهور على أنه مستقبل سلبي لرسائل الاتصال، فإن الرؤية الجديدة للجمهور في الإعلام الجديد تعتبره كيانا نشطا وفعالا يتعامل مع وسائل الإعلام بإيجابية، ويختار التعرض للوسائل التي تلبي حاجياته والمضمون الذي يتفق مع توقعاته (قاسمي و سمير قريد، 2018، صفحة 1).

في هذا السياق، يؤكد الكثير من الباحثين أن مقاربة الاستخدامات والإشباعات تناسب بحوث الوسائل الجديدة، فنظرا إلى أنها مقاربة (الجمهور النشط)، فإن النموذج يتيح لنا فرصة مواتية لكي نرى الأساليب التي يستجيب بها الجمهور لنطاق متسع وعميق من المعلومات التي تنتجها هذه الوسائل الجديدة، كما أن الاستخدامات الحديثة لهذا المدخل تقوم على فهم أفضل للعلاقة بين الخصائص الاجتماعية للجمهور، وطبيعة استخداماته للوسيلة، والسياق الذي تستخدم فيه الوسيلة(العزعزي، 2015، صفحة 96).

وعلى الرغم من أن مقاربة الاستخدامات والإشباعات ولدت من رحم نظرية التأثير النسبي التي استقاها بول لازارسفيلد (Paul Lazarsfeld) في بحوثه منذ ثلاثينات القرن الماضي، إلا أنه شُرِع في تطبيق هذه المقاربة على الإعلام الجديد في بيئة الويب مع بداية الاستخدام الاجتماعي لشبكة الإنترنت في 1998، ثم توالت البحوث التي اعتمدت على هذه المقاربة مع تعدد الخدمات التي تقدمها المواقع الإلكترونية في شبكة الانترنت، وتزايد عدد المدونات الإلكترونية وارتفاع عدد مستخدمي مواقع الشبكات الاجتماعية، مثل: ماي سبيس (Myspace) ، وسكندلاي (Second Life)، وفايسبوك، ويوتيوب، والتدوين المصغر ممثلًا في موقع تويتر، وغيرها من المواقع. هذا إضافة إلى تزايد استخدام الميديا التقليدية للعُدَّة التكنولوجية المعاصرة، وقامت هذه البحوث بمقارنة الاستخدامات والإشباعات التي يحققها الجمهور من الميديا التقليدية وتلك التي يحققها من الميديا الحديثة، مثل التليفزيون التفاعلي، وذلك انطلاقًا من الإمكانية التقنية التي تمنحها هذه المواقع للمستخدم بحيث يستطيع أن يشارك في إنتاج المحتويات المتداولة فيها ويحتمل أنه يستطيع أن يتحكم فيما يستخدم، كما حاولت هذه المقاربة الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الاستخدام المتزايد لمواقع الشبكات الاجتماعية على الصعيدين الكمي والوقتي: عدد المستخدمين وشبكات التواصل الاجتماعي التي يستخدمونها، والوقت المخصص للاستخدام، والإشباعات التي تدفع الجماعات الافتراضية إلى استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، "وهل الإشباعات تتغير مع الوقت أم تظل ذاتها مهما طالت مدة الاستخدام أم تتغير؟(لعياضي، 2020).

وبالمجمل، يفرض استخدام شبكات التواصل الاجتماعي دراسة مشكلات الاستخدام، وقدرة المستخدم على مزاولتها، للدلالة على قوة الاستخدام والارتباط بهذه

المواقع ومحتواها، كما يفترض مراعاة العلاقة بين الاستخدام وإشباع الحاجات، كما يجب التفرقة في شدة الاستخدام بين الاستغراق في المحتوى والاستغراق في التجول، ويجب أن نضع في عين الاعتبار الحاجات المتجددة التي تظهر أثناء التجول والأخرى الدافعة إلى مواقع شبكات التواصل الاجتماعي واستخدامها(العظيم، 2020، الصفحات 43 - 44).

وتبعا لذلك فإن مقاربة الاستخدامات والإشباعات تندرج في خانة الحتمية السوسيولوجية، إذ تفترض أن التحولات الناجمة عن تكنولوجيات الإعلام والاتصال، إنما ترتبط بالكيفيات التي يستعمل بها الأفراد هذه الوسيلة، وبالتالي تسعى إلى دراسة تملك التكنولوجيا ضمن السياق الاجتماعي والثقافي الذي ينتمي إليها لأفراد، أو بالأحرى مثلما يقول جوسيان جويت (Josiane Jouet) استجابات البناء الاجتماعي لمجيء وسائل اتصالية جديدة كشبكات التواصل الاجتماعي(مجاهدي، 2011، الصفحات 65- 66).

4. 3 مقاربة المجال العام الافتراضي

تنطلق هذه المقاربة من فرضية مؤداها أن العام الافتراضي يرتبط بالإنترنت ارتباطا وثيقا، إذ يعد هذا المجال فرصة أمام الأفراد ليتبادلوا الأفكار والمعلومات والهوايات والاهتمامات المشتركة والمتجانسة، وقد تطور في العصر الحالي الفضاء العمومي ليصبح افتراضيا، وليكن مجالا للتعبير الحر عن آرائهم التي لا يستطيعون البوح بها أو التعبير عنها في مجتمعاتهم الواقعية. ففي هذا المجال يشكل المشاركون فيه ثقافة من نوع خاص تسمى " ثقافة المجال الافتراضي"(حلمي، 2016، الصفحات 139- 140).

وتبعا لـ "جون ماري فيري" فإن هذه المقاربة تفكر في المجال العام من منظور إشهار الأفكار والآراء والأحداث الاجتماعية وآليات تمثيلها. إن المجال العام الافتراضي هنا هو ذلك الإطار الذي تتحقق من خلاله عملية التمثيل الإعلامي للأحداث الاجتماعية والثقافية والسياسية، فهو مجال تواصلي وسائطي تشكله وسائط الإعلام – بما في ذلك شبكات التواصل الاجتماعي-التي يتعرض لها جمهور واسع، وبالتالي يصبح المجال العام النظام الذي تتمثل الجماعة من خلالها ذاتها(الحمامي، 2011، صفحة 17).

لقد ساهمت الثورة التكنولوجيا الجديدة لوسائل الإعلام الإلكترونية، وفي مقدمتهاالإنترنت في ظهور مجال عام افتراضي، يقوم على حركة المعلومات وتبادل الأفكار بين المواطنين، ونشر المعلومات بشكل سريع بين الأفراد، وتؤكد نظرية المجال العام على أن وسائل الإعلام الإلكترونية– مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية- تخلق حالة من الجدل بين الجمهور، الذي من خلاله يمكن تشكيل الرأي العام، ويؤكد "هابرماس" على إمكانية خلق حوار خارج سيطرة الحكومة والاقتصاد، منخلال نظريته، فضلا عن التأثير السياسي للإنترنت بين الأفراد في تحقيق الديمقراطية التواصلية (عمروش و مبروك لمشوني، 2019، الصفحات 605- 606).

يمكن توظيف هذه المقاربة في دراسة أشكال التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي نظرا للسمات التفاعلية التي تتسم بها، والتي يمكن أن تقود إلى مزيد من دمقرطة الحياة الاجتماعية من خلال الوصول الحر إلى المعلومات والمشاركة المتساوية في المناقشات من خلال الديمقراطية الإلكترونية، ومعرفة إلى أي مدى يسهم الاتصال التفاعلي عبر شبكات التواصل الاجتماعي في دعم فكرة الحوارات والنقاشات الإلكترونية وتبادل المعلومات حول القضايا السياسية(رفعت، 2018، صفحة 54).

وبالتالي، ساهمت شبكات التواصل الاجتماعي في تأسيس مجال عام افتراضي مكن المستخدمين من التعبير عن آرائهم من خلال النقاشات والحوارات الالكترونية، كما مكنهم من تبادل الأفكار والحصول على المعلومات بسهولة، مما عزز الديمقراطية الإلكترونية والمواطنة النشطة التي أتاحت للنشطاء الافتراضيين فرصا متساوية في إنتاج المحتوى والتحاور، والمشاركة في التفاعلات والأنشطة السياسية والاجتماعية الافتراضية، أو ما يصطلح على تسميته بالنضال الإلكتروني.

4. 4 مقاربة المجتمع الشبكي

وفًقا لكاستلز، يتكّون المجتمع الشبكي من شبكات إنتاج وقوة وتجربة من شأنها أن تنشئ ثقافة واقعية افتراضية من التدفقات العالمية التي تتعالى على الزمان والمكان،أي أن المجتمع الشبكي هو المجتمع الذي يحّل فيه شكل التنظيم الشبكي محّل أشكال أخرى، عبر مقولات السياسة والاقتصاد والثقافة(بارني، 2015، صفحة 32).

خلص كاستلز، في هذا الإطار، إلى فرضية مفادها أن ثقافة مجتمع الشبكات هي ثقافة بروتوكولات ّ التواصل بين مختلف الثقافات في العالم، حيث تطورت على أساس المعتقد المشترك في سلطة التشبيك،والتعاون الحاصل من خلال عطاء الآخرين والأخذ منهم، أي على أساس تبادل المعلومات، والأفكار والصور، والحوارات وغيرها، إنها سيرورة من البناء المادي لثقافة مجتمع الشبكات، وليست نشر العقل الرأسمالي من خلال السلطة الممارسة في الشبكات الشاملة عن طريق النخب المهيمنة الموروثة من المجتمع الصناعي. هي تلك السيرورة التي من خلالها يحضر الفاعلون الاجتماعيون الواعون أمرهم الذين ينتمون إلى مختلف الشرائح الاجتماعية، والمنابع الثقافية والمعتقدات الدينية، ويتقاسمون العالم المتنوع(الغزواني، 2020، صفحة 148).

كما يعتقد كاستلز أن الظروف والوسائل التي يوفرها المجتمع الشبكي للأفراد، هو ما يسمح لهم بالتشبيك، بغرض إيجاد قيم ومعتقدات سياسية كانت أم اجتماعية تتأسس عليها ملامح هوية مشتركة، كما أنها تسمح بتشكل هويات جماعية تتخطى الصعوبات التي تطرحها المجالات الجغرافية أمام الأفراد والجماعات، على غرار الهويات الافتراضية التي تتشكل داخل العالم الرقمي اليوم والتي تتميز بكونها منفلتة بشكل كلي من الضغط الذي يمارسه المجال الجغرافي على الأفراد عند إنتاج هوياتهم الخاصة بشكل جماعي(أمغار، 2019، صفحة 102).

إذا الشبكات هي بمنزلة شكل جديد للمجتمع تنتظم فيها الهوية (الانتماء) والسياسة (تنظيم العنف) والاقتصاد (الإنتاج وتحديد القيمة)، ومن ثم تحدد شكلا لمجتمع وقيمه، وبالتالي حينما تصبح العقد غير ضرورية لتحقيق أهداف الشبكة، فالشبكة عادة ما تميل نحو إعادة تشكيل نفسها من خلال حذف بعض العقد (الإقصاء) وإضافة عقد أخرى (الاحتواء)، فالعقد لا عمل لها، ومن ثم لا وجود لها إلا كعنصر داعم للشبكة التي تعتبر ككائن حي ينمو ويحافظ على بقائه من خلال إضافة أية عقد مفيدة لعمل الشبكة أو من خلال حذف أية عقد غير مفيدة لقيم ومصالح الشبكة، وهي القيم والمصالح المبرمجة مسبقا في بروتوكول الشبكة (خليفة، 2016، صفحة 20).

وبناء على ما سبق، تستكشف مقاربة البناء الشبكي انعكاسات الشبكات التقنية على الهويات والعوالم، وينبه مفهومها حول البناء المشترك أو الإنتاج المشترك إلى

الاعتماد المتبادل بين الفاعلين الإنسانيين والعالم التقني الذي يحيط بهم، وبذلك لا يتشكل الفاعلون فقط عبر الروابط الاجتماعية المحضة، ولكنهم يتكتلون حول التكنولوجيات التي تدعم التفاعل بين الأعضاء كشبكات التواصل الاجتماعي(آندروفينبيرغ، 2019، صفحة 154).

5. خاتمة

لا شك أن فهم آليات اشتغال شبكات التواصل الاجتماعي، وتحليل وتفسير تأثيراتها المختلفة في الفضاء السيبيري يحتاج – في تقديرنا-إلى سوسيولوجيا نقدية تقوم على نقد مؤسس لواقع هذه الشبكات، يؤسس معطياته من القراءة الواعية القائمة على التحري الميداني لمختلف استخدامات هذه الشبكات في حياتنا اليومية، كما يحتاج هذا النقد إلى الانفتاح على علوم أخرى كالسيكولوجيا والانثروبولوجيا والفلسفة وعلوم التربية وغيرها، من منطلق أن ظاهرة شبكات التواصل الاجتماعي لا يمكن أن تفهم وتفسر بالانغلاق على رؤى اختصاصية – ضيقة (كقل سوسيولوجيا الاتصال مثلا)، بل باستدعاء مقاربات مجاورة، نستطيع من خلالها تقديم رؤية معمقة وشمولية. تؤثث لرؤية علمية اجتماعية متعدّدة قادرة على إدراك دور هذه الشبكات في الفضاء الافتراضي.

وبالمجمل، فإن تعدد المقاربات السوسيولوجية المفسرة لشبكات التواصل الاجتماعي يرجع أساسا لكونها ظواهر إنسانية واجتماعية، تحكمها سيرورات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية مختلفة كما أن تعاظم تأثيرات هذه الشبكات يطرح أما الباحثين في علم الاجتماع إشكالات عديدة تستلزم إيجاد بدائل منهجية ونظرية تتوافق مع بنية هذه الوسائط، وطبيعة التطورات التي تعرفها في البيئة الافتراضية.

6. قائمة المراجع

إبراهيم قاسمي، و سمير قريد. (2018). نظرية الاستخدامات والإشباعات بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد. *الملتقى الوطني الثالث حول الرسالة الإعلامية في الجزائر بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد*. الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس.

إدريس الغزواني. (2020). مانويل كاستلز ومفهوم مجتمع الشبكات، من المجتمع إلى الشبكة: نحو مقاربة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات. *عمران للعلوم الاجتماعية، المجلد 9*(العدد 33).

السيد رشاد غنيم، و آخرون. (2008). *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع*. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

الصادق الحمامي. (2011). الميديا الجديدة والمجال العمومي: الإحياء والانبعاث. *مجلة الإذاعات العربية*(العدد 3).

الطاهر إبراهيمي. (2014). *في سبيل مقاربة سوسيولوجية للبيئة في الجزائر: تصور مقترح*. الجزائر: دار علي بن زيد للطباعة والنشر.

المولدي فسومي. (2015). *مجتمع الثورة*. تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

آندروفينبيرغ. (2019). النظرية النقدية للتكنولوجيا، هل غدت الديمقراطية الغربية محض وهم؟ *مجلة الاستغراب*(العدد 15، ربيع).

جان فرنسوا دورتيه. (2009). *معجم العلوم الإنسانية*. الإمارات العربية المتحدة، بيروت: كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

دارن بارني. (2015). *المجتمع الشبكي*. (أنور الجمعاوي، المترجمون) قطر: المركز العريب للأبحاث ودراسة السياسات.

ساري حلمي. (2016). *التواصل الاجتماعي*. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

سمر سيد عبد العظيم. (2020). المداخل النظرية المفسرة لدراسة مواقع التواصل االجتماعي والتفكك الأسري. *حولية كلية الآداب، المجلد 9*(الجزء الأول).

عبد الرحيم العطري. (2000). *دفاعا عن السوسيولوجيا*. المغرب: شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الرحيم العطري. (2012). العلم الاجتماعي ضدا على الكاست المعرفي من التناص الاجتماعي إلى التداخل التخصصي. *إضافات (المجلة العربية لعلم الاجتماع)*(العددان 17 و 18، شتاء وربيع).

عبد الرحيم العطري. (2017). المقاربة السوسيولوجية والتكامل المعرفي بحاجة إلى مملكة المؤرخ. *أشغال المؤتمر السنوي لمؤسسة مقاربات: المناهج وتكامل المعارف*. . المغرب: مؤسسة مقاربات للنشر.

عبد العالي دبلة. (2011). *مدخل إلى التحليل السوسيولوجي*. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

عبد العزيز جاهمي، و سمير قريد. (2019). إشكالية الاندماج الاجتماعي للشباب عبر شبكات التواصل الاجتماعي – مقاربة سوسيولوجية -. تأليف مجموعة من

الباحثين، *استرتيجية تفعيل إندماج الشباب لتمكينهم اجتماعيا*. الجزائر: مطبعة مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة.

عبد الغني عماد. (2007). *منهجية البحث في علم الاجتماع: الاشكاليات، التقنيات، المقاربات*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

عبد الله ساقور. (2011). *محاضرات في علم الاجتماع المعاصر، المنظورات التأويلية* (المجلد الجزء الثاني). الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار عنابة.

عزمي خليفة. (2016). *تحولات الدولة القومية والسلطة، دراسة في انعكاسات المجتمع الشبكي على الحكم وعلاقات السلطة (سلسلة أوراق العدد 22)*. الإسكندرية: وحدة الدراسات المستقبلية.

فريدة بن عمروش، و مبروك لمشوني. (2019). الإعلام الجديد والمجال العام الافتراضي: دراسة في المفهوم والأطر النظرية. *مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، المجلد 4*(العدد 2).

فيصل محمد عبد الغفار. (2016). *شبكات التواصل الاجتماعي*. عمان: الجنادرية للنشر والتوزيع.

محمد مصطفى رفعت. (2018). *الرأي العام في الواقع الافتراضي وقوة التعبئة الافتراضية*. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

مصطفى مجاهدي. (2011). *برامج التلفزيون الفضائي وتأثيرها في الجمهور، شباب مدينة وهران نموذجا (سلسلة أطروحات الدكتوراه 94)*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

مهدي سامية. (2016). مواقع الشبكات الاجتماعية - قراءة في سوسيولوجيا الاستخدام -. *مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية*(20).

مولود أمغار. (2019). آليات السيطرة والمقاومة في عرض المعلومات، المجتمع الشبكي لدى مانويل كاستلز. *مجلة ألباب*(العدد 14، شتاء).

ميل تشيرتون، و آن براون. (2012). *علم الاجتماع: النظرية والمنهج*. (هناء الجوهري، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

ناصر قاسيمي. (2017). *التحليل السوسيولوجي: نماذج تطبيقية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

نصر الدين لعياضي. (25 ديسمبر, 2020). *التفكير في عُدَّة التفكير: مراجعة نقدية لنظرية الاستخدامات والإشباعات في البيئة الرقمية*. تم الاسترداد من مركز الجزيرة للدراسات: https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/documents/2020-12/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B1%20%D9%81%D9%8A%20%D8%B9%D9

%8F%D8%AF%D9%91%D9%8E%D8%A9%20%D8%A7
%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B
1_0.pdf

نور الدين بولعراس. (2018). المقاربة السوسيولوجية في البحث الاجتماعي: محاولة ميتودولوجية امبيريقية من أجل تجاوز اشكالية الاختيار، العرض والتوظيف. *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 35*.

وديع العزعزي. (2015). *الإعلام الجديد، مفاهيم ونظريات*. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

Aksan, N., & et al. (2009). Symbolic interaction theory. *Procedia Social and Behavioral Sciences, Volume 1*(numéro 1).

Alvarez, I. M., & Marialexa Olivera-Smith. (2013). Learning in Social Networks: Rationale and Ideas for Its Implementation in Higher Education. *education sciences*(3).

Briana, M., & et al. (2021). Disconnecting from Social Networks. *Qualitative and Quantitative Methods in Libraries (QQML)*(10,3).

FROMENT, F., & et al. (2017). The Use of Social Networks as a Communication Tool between Teachers and Students: A Literature Review. *The Turkish Online Journal of Educational Technology, volume 16* (issue 4).

Greenhow, C., & Beth Robelia. (2009). Informal learning and identity formation in online social networks. *Learning, Media and Technology, Vol. 34*(No. 2).

Sadiku, M. N., & et al. (2019). Social Networking. *International Journal of Trend in Scientific Research and Development (IJTSRD), Volume: 3* (Issue: 3).

Tiryakioglu, F., & et al. (2011). Use of Social Networks as an Education Tool. *CONTEMPORARY EDUCATIONAL TECHNOLOGY*(2 (2)).